The North African Journal of Scientific Publishing (NAJSP)
مجلة شمال إفريقيا للنشر العلمي (NAJSP)
E-ISSN: 2959-4820
Volume 1, Issue 2, April-June 2023, Page No: 117-126
Website: https://najsp.com/index.php/home/index

اللغة وتشكل النص في رواية حرب البسوس للكاتب المغربي بشير القمري

هشام مداحي*
طالب باحث في سلك الدكتوراه، كلية اللغات والآداب والفنون، جامعة ابن طفيل، القنيطرة، المغرب

Language and Text Formation in The Harb Al-Bassous for The Moroccan Writer Bachir Elkamai

Hicham Meddahi*
PhD student, Faculty of Languages, Letters and Arts, Ibn Tofail University, Kenitra, Morocco

*Corresponding author	meddahicham@gmail.com	*المؤلف المراسل
تاريخ النشر: 2023-04-27	**تاريخ القبول:** 2023-04-21	**تاريخ الاستلام:** 2023-03-24

الملخص

تشكل الرواية المعاصرة أحد أهم وأرقى معالم الفن والأدب المعاصر وأجناسه، إذ إن الأعمال الروائية صارت مكتنزة بالمقومات الجمالية والفنية وبالتعبيرات الرمزية، الظاهرة تارة والمستترة تارة أخرى. ولعل اللغة كأداة الكتابة الأدبية هي الوسيلة التي تمنح للعمل الروائي مقوماته، وهي التي تنفخ في مواضيعه الحياة وتجعل من أفكاره واقعا يلامس القارئ. كما أن اللغة ومستويات الخطاب هما من يمنحان للنص الروائي الشكل الذي أراده منه الكاتب. ولهذا فرواية حرب البسوس لصاحبها بشير القمري، استطاعت أن تمزج هذه المقومات، إذ إنها عمل روائي يحتفل باللغة ويجعل لها مستويات متناسقة مع الشخوص والأزمنة والأمكنة والأحداث وذلك في قالب روائي مميز يمتحي من "الموشح" بعض تيماته.

الكلمات المفتاحية: روائي مغربي، بشير قمري، الرواية المغربية، حرب البسوس، تشكل اللغة، البناء السردي

Abstract

The contemporary novel constitutes one of the most important and finest features of contemporary art and literature and its genres, as the works of fiction have become full of aesthetic and artistic elements and symbolic expressions, sometimes apparent and hidden at other times. Perhaps language as a tool for literary writing is the means that gives the novelist its components, and it is the one that breathes life into his topics and makes his ideas a reality that touches the reader. Language and levels of discourse are what gave the fictional text the form the writer wanted from it. For this reason, the novel “HARB ELBASSOUS “by its author, Bashir El-Kamary, was able to mix these ingredients, as it is a work of fiction that celebrates the language and makes it levels consistent with characters, times, places, and events. This is in a distinctive narrative form that removes some of its themes from the “Muwashshah”.

Keywords: Moroccan Novelist, Bashir Kemri, The Moroccan Novel, Harb Elbassous, Language Formation, Narrative Construction

مقدمة

إن البحث في اللغة وفي طبيعتها، وتشكلاتها البنيوية والوظيفية، هو في الحقيقة بحث في الإنسان، إذ أن اللغة تشكل البعد الأنطولوجي له. فهي التي تحدد هويته وتجلبه إلى حالة الحضور بل هب مشيئته في اصطياد العالم[1]، فلا يمكن الحديث عن عالم إلا بالنسبة لكائن يقوم في اللغة. فاللغة إذن لم تكن أداة للتواصل فقط، وإنما هي " طريقة انفصال الإنسان عن الوجود، ليشعر الإنسان بالدهشة تجاهه، بل ويشعر بوجوده"[2]. والرواية كوسيلة للتعبير والتواصل والدهشة أيضا، تمتح من اللغة وتجعلها الزورق الذي تمتطيه من أجل الوصول لهذه الغايات بطرق مختلفة، تمنح كل عمل روائي جماليته وفنيته.

وقد اتخذ كتاب الرواية المغربية – كغيرهم من كتاب الرواية المعاصرين- من اللغة سبيلا للانتقال من أسئلة الكينونة والهوية إلى فضاء كتابة رحب سمته الصيرورة والتحول الدؤوبين، مما أدى إلى إكساب أغلب النصوص الروائية المغربية أفقا حداثيا، باعتبارها نصوصا " ما فتئت تبلور وعيا حداثيا شديد البروز، هذا الوعي يجد سنده القوي في النزوع التجريبي، تجريب يمس من الرواية كل شيء تقريبا: مكوناتها الجنس أدبية، ومادة تأليفها الأدبي، وتقنيات السرد فيها ذات الوجهة الشذرية والمتقطعة والمنشطرة، و تعتبر التجربة اللغوية عنصرا مهما من عناصر الحداثة الأدبية بالمغرب"[3].

ولعلنا في هذا البحث نحاول أن نستشف مستويات اللغة ووظائفها في تشكل النص الروائي، من خلال رواية الكاتب والباحث الناقد المغربي بشير القمري " حرب الباسوس" الصادرة دار أبي رقراق للطباعة والنشر سنة 2006.

فكيف جاءت اللغة في هذا العمل الأدبي؟ وما هي مستوياتها؟ وكيف ساهمت في بناء النص وتشكيل موضوعاتها ومعالمه الزمانية والمكانية والقيمية؟

ولمحاولة التطرق للموضوع بشكل منهجي والالمام بكل عناصره، اعتمدنا التصميم التالي:

المحور الأول: قراءة في العتبات.
1- عتبة المؤلف.
2- عتبة العنوان.
3- عتبة الغلاف.

المحور الثاني: البناء السردي للرواية.
1- ملخص الرواية.
2- الشخوص.
3- الزمان.
4- المكان.
5- الرؤية السردية.

المحور الثالث: اللغة وتشكل النص في الرواية.
1- اللغة وخصائصها.
2- بنية وتشكل النص الروائي.

خاتمة.

---

[1] - مارتن هايدغر: اللغة أخطر النعم ضمن كتاب اللغة (نصوص مختارة)، إعداد وترجمة محمد سبيلا عبد السالم بنعبد العالي، سلسلة دفاتر فلسفية، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب ط1، 1994، ص16.

[2] - أحمد إبراهيم: إشكالية الوجود والتقنية عند مارتن هايدغر، منشورات الاختلاف الدار العربية للعلوم، ط1، 2006، ص86.

[3] - عبد الحميد عقار، الحداثة والنوع التجريبي، عبد الرحيم العلام، سؤال الحداثة في الرواية المغربية (الكتاب عبارة عن مجموع مقالات لعدد من الباحثين)، إفريقيا الشرق، المغرب 1999. ص: 117.

المحور الأول: قراءة في العتبات.

- **عتبة المؤلف:**

بشير القمري كاتب وناقد وباحث مغربي ولد في 10يناير سنة 1951 بالناظور. حاصل على شواهد الباكالوريا في الآداب العربية سنة 1968، وإجازة في الأدب العربي، سنة 1975، وشهادة الدروس الجامعية العليا، سنة 1982، ودكتوراه السلك الثالث، سنة 1987.

اشتغل أستاذًا جامعيًا بكلية الآداب القنيطرة، ويشتغل حاليا أستاذا جامعيا بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، بالرباط. انضم إلى اتحاد كتاب المغرب سنة 1976. عضو المكتب المركزي لاتحاد كتاب المغرب (96 - 98) و(98 - 2001) و(2001 - 2004) بدأ النشر سنة 1972 بجريدة العلم.

يتوزع إنتاجه بين النقد الأدبي، النقد السينمائي، الكتابة القصصية والمسرحية والترجمة.

نشر أعماله بصحف: العلم، المحرر، البيان، الاتحاد الاشتراكي، أنوال، القدس (اللندنية)، وأسبوعية أخبار الأدب (القاهرية)، وبمجلات: فصول (المصرية)، وعلامات (مكناس)، والكرمل (الفلسطينية)، والآداب (البيروتية)، وآفاق (اتحاد كتاب المغرب). آفاق، أقلام، الثقافة الجديدة، الزمان المغربي، البديل؟، فصول (القاهرة)، الآداب (لبنان)، شؤون (الإمارات)، الأقلام، آفاق عربية (العراق).

- له مجموعة من المؤلفات الأدبية:
  - شعرية النص الروائية الرباط: البيادر، 1991.
  - ساهم في ترجمة: طرائق تحليل السرد الأدبي / مجموعة من الكتاب، ترجمة حسن بحراوي، بشير القمري، رشيد بن حدو، سعيد بنكراد... اتحاد كتاب المغرب، الرباط, 1992.
  - المحارب وبالأسلحة: مجموعة قصصية، البوكيلي للنشر، القنيطرة، 1995.
  - حفريات المدن: نصوص، البوكيلي للنشر، القنيطرة، 1996.
  - سر البهلوان: نص روائي، البوكيلي للنشر، القنيطرة، 1997.
  - رجعة ليلى العامرية - التنين: مسرحيتان، أوبتيما، الرباط، 1998.
  - في التحليل الدراماتورجي للنص، منشورات شراع، طنجة، 1999.
  - مجازات: دراسات في الإبداع العربي المعاصر، دار الآداب، بيروت، 2000.
  - دراسات، دار الآداب، بيروت، 2000.
  - رواية حرب الباسوس، دار أبي رقراق للطباعة والنشر. 2006.

- **عتبة العنوان:**

إن أول ما يثير القارئ في الكتاب أيا كان نوعه هو العنوان لأنه أول ما تقع عليه عين القارئ، وسرعان ما يجذبه ويفرض عليه سلطته، "لأن العنوان يفاجئ ويحير بحسب المعرفة التي يخلقها".[4] يعتبر العنوان في "الدرس المعاصر المدخل الرئيس للعمارة النصية، إنه إضاءة بارعة و غامضة؛ باعتباره سؤالاً إشكاليا، يتكفل النص بالإجابة عنه؛ فالعنوان يعلن عن طبيعة النص، و من ثمة يعلن على نوع القراءة التي يتطلبها هذا النص، إنه البهو الذي ندلف من خلاله إلى النص، و دونه لا يمكننا الدخول إلى حجرة النص، لغموضه و تشابكه، و لتتم عملية الولوج إلى هذه العمارة النصية، و التقرب من حجرتها، و ملامسة اتجاهاتها و حركاتها في ثناء النسيج النصي و شظياته"[5].

أما فيما يخص عنوان العمل الذي بين أيدينا، فهو عنوان مكون من مضاف ومضاف إليه " حرب البسوس" ومحله إعرابيا، حرب: خبر مرفوع لمبتدأ محذوف تقديره 'هذه'، البسوس: مضاف إليه مجرور. والعنوان يحيل إلى قصة عربية تراثية مشهورة عن حرب طاحنة تمت بين قبيلتين في الزمن الجاهلي

---

[4] - شعيب حليفي: هوية العلامات (في العتبات وبناء التأويل)، ط1، دار الثقافة، المغرب، 2005، ص21.

[5] - سعدية نعيمة: استراتيجية النص المصاحب في الرواية الجزائرية "الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي" للطاهر وطار – أنموذجا، مجلة المخبر، العدد 5، بسكرة، 2009، ص 225.

بسبب ناقة. ولعل الكاتب من خلال هذه العنوان يجعل القارئ أمام عقد مقارنات بين قصة روايته وبين هذه القصة التراثية، فقد تشمل هذه المقارنة أن ما أفسدته فريدة في مدينتها وفي حياة معارفها يضاهي ما خلفته حرب البسوس التي كانت أيضا بين أبناء الوطن الواحد، وقد يكون التشبيه كذلك مجالا للمقارنة حيث إن الأوضاع السياسية والاجتماعية لفترة الستينات إلى التسعينات هي فترة "جاهلية" وصراع بين الأيديولوجيات اليسارية واليمينية والإسلاموية. بل إن التشابه يشمل أيضا مدة الحربين الذي هو أربعون سنة، فكذلك حرب فريدة دامت من الستينيات إلى بداية الألفية الجديدة.

- **عتبة الغلاف:**

يطالعنا في الغلاف الذي اختير للرواية، والذي جعل بخلفية بيضاء، تدل على الحياد. في أعلاه في الوسط يوجد اسم الكاتب " بشير القمري"، وتحته بحجم أكبر عنوان الرواية "حرب البسوس"، وهذا لما للعنوان من أهمية في جلب المتلقي، فحيث أن العنوان له دلالة تاريخية قبلية، حاول المؤلف استغلالها لجعل المتلقي يتساءل عن ماهية الموضوع، هل هو سرد لقصة حرب البسوس التاريخية. ولكن ما إن يهبط في الغلاف قليلا حتى يجد أن جنس المؤلَّف هو رواية وليس كتابا لسرد التاريخ.

في وسط الغلاف توجد لوحة فنية لشخصين يتعاركان، دون أن تظهر ملامح جنسهما أو عمرهما. وبالتالي يجد القارئ تقاطعا بين العنوان واللوحة والذي هو " الصراع/ الحرب". مما يجعله يتنبأ ويتوقع أن الموضوع ستكون له علاقة بالحرب وبالصراع.

في الجهة المقابلة للغلاف، نجد قولة نقدية حول الرواية، دون الإشارة لقائلها. والغالب أنها للكاتب نفسه. حيث يشرح فيها علاقة العنوان بدلالته التاريخية بشخوص روايته " مبروك الفارسي" وزوجته " فريدة الخراط". وفي الأسفل صورة للكاتب بشير القمري ونبذة عنه وابداعاته في حقل الابداع.

المحور الثاني: البناء السردي للرواية.

- **تلخيص رواية حرب البسوس:**

رواية حرب البسوس عمل فني يسائل التاريخ من خلال الشخصية التاريخية " البسوس"، الحرب التي اشتعلت بسببها مخلفة حربا قبلية استمرت طويلا، ووصل لهيبها للكثيرين. وتم توظيف رمزيتها للحكي عن فترة من فترات المغرب. وفي مدينة من المدن حيث فريدة الخراط الصقلي، تلك المرأة الشريرة التي عملت على تخريب حياة زوجها المبروك الفراش الفارسي وعائلته ومعارفه. فبعد أن تزوجت فريدة من مبروك جعلته لعبة في يدها، وجعلته يفارق أسرته التي كانت بأمس الحاجة إليه، واستولت على كل ممتلكاتها وممتلكاته أسرته، بل ان فريدة أو كما يسميها الراوي " الرتيلا" لم تتوقف عند هذا الحد بل حاولت أن تنسج خيوط حربها على الكل، بحثا عن المجد الخاص ومجد أسرتها، حيث امتطت المبروك كوسيلة لتزويج أخواتها الثلاث وأخيها وغنى أبيها. كلها معاناة عاشتها عائلة المبروك بسبب أصلها الشريف وتريخها في المقاومة، فكانت فريدة أيضا وسيلة لتنفيذ مخططات أعداء هذه الأسرة الأصيلة.

ماتت أم المبروك ثم ابوه على الفارسي صابرين على قدر الله. أما المبروك فقد ظل أيضا صابرا رغم عدم رضاه بالوضع، إلى أن هاجر لمدينة الرباط تاركا فريدة وتاركا المدينة ومن فيها، ليعيش حياة عربدة وجلد الذات في حانات الرباط وفنادقها إلى أن وجد متوفيا في نزل رخيص. أما فريدة فقد اعتقلت أخيرا بسبب انتمائها لعصابة وبقيت في السجن حتى توفيت هناك.

مات المبروك حاملا معه أسئلة كثيرة عن سبب هذه الحياة التي عاشها، وهل كان كل ذلك بسبب مواقفه الحزبية من قبل، وهل مات منتحرا أم مسموما كما يرجح أخوه سفيان وصديقه الوزاني وصديقته شهرزاد التي أحبته بصدق، لكنها وجدته لم يبقى فيه سوى هيكل رجل تم تحطيمه من طرف زوجته فريدة.

رواية "حرب البسوس" رواية رمزية تحمل بين طياتها تاريخ مغرب ما بعد الاستقلال حيث الصراع السياسي ولثقافي والاجتماعي في أوجه. صراع يقول عنه الراوي على لسان المبروك الفارسي أننا لسنا فيه سوى "كومبراس"، وبأننا نسير لنفس المصير الذي يراد لنا، وليس علينا سوى الاستسلام له.

- **الشخوص.**

كل عمل روائي لابد له من شخصيات تحرك أحداثه. وكذا عملنا الروائي هذا يتضمن مجموعة من الشخصيات. وهي:

- **الشخصيات الرئيسية:**

1- مبروك الفرش الفارسي: شاب مثقف متعلم واسع الاطلاع على كل ما هو سياسي وفني وأدبي، يعشق الأفلام والموسيقى والقراءة، يحب الحياة ومقبل عليها. له صداقات كثيرة، ولكن ما ان تزوج فريدة حتى أصبح منعزلا عن عائلته وأصدقائه. لم يعطيه الكاتب أية أوصاف خِلقية، وذلك لأن مبروك فقط رمز لكل شخص عاش أو يعيش نفس الغربة المعنوية.

2- فريدة الخراط: امرة في الأربعين من عمرها، دميمة الجبهة والعنق، قدماها مفلطحتين، من اسرة بلا أصل ولا فصل، عاشت في فقر وضنك وحرمان، إلى ان التحقت بوظيفة في التعاون الوطني ثم استطاعت أن تجد لها زوجا بين شباب الحي وهو مبروك الفارسي، لتتحول بعد ذلك حياتها لغنى ورفاهية هي وأسرتها. قدمها الكاتب باعتبارها شخصية أنانية شرهة وشريرة وطماعة في المناصب السياسية، تعمل في الخفاء والعلن لتخريب حياة الناس. لا شيء يهمها ولا مبادئ تحكمها سوى المال وتحقيق مآربها.

- **الشخصيات الثانوية:**

يعج العمل الروائي الذي بين أيدينا بمجموعة من الشخصيات الثانوية، التي تؤثث فضاء الرواية، وتاهم في تنامي أحداثه وبناء المعنى فيه. ومن هذه الشخصيات:

التي تمثل الخير	التي تمثل الشر
الوزاني صديق البطل، سفيان أخ البطل، شهرزاد صديقة البطل، خيرة صديقة البطل، أب البطل وأمه، الزهراء ويمنة أختي البطل. فاروق "ابن" البطل، عبد العزيز الصحفي، صديق البطل زليخة صديقة فريدة سابقا فنيدة اخت فريدة..	فريدة الخراط الزوجة، عيسى الخراط أب فريدة، أخوات فريدة: سعيدة، شهيدة، مجيدة، وأخويها بنعيسى وعماد. نجاة شيقة البطل في الرباط..

- **الزمان.**

يتميز زمن الخطاب في الرواية بعدم التسلسل وبطغيان الاسترجاع والاستباق فيه، فالرواية تبدأ بالبطل وهو يروي حكايته في حانات الرباط وكلامه عن معشوقته ودنفه بها ومتابعته المتكررة لها، أملا في نسيان ماضيه. ثم يعود بنا في المقطع الثاني إلى أصل الحكاية وهو زواج فريدة بالمبروك (ص: 23-

24). ثم يعود لما قبل ذلك عبر سرد تاريخ مبروك ودراته الجامعية ودراسة أخيه سفيان. ثم يعتمد طريقة الاستباق للحديث عن موت أم مبروك ونهاية فريدة.

أي أن الزمن في الرواية لا يخضع للترتيب المنطقي وللتسلسل والتدرج في بناء الأحداث. وهذا راجع بالأساس لأسلوب القصة الذي يعتمد على رواية شهود القصة، وكل من زاوية نظره للأحداث.

أما عن الزمن الكلي فيشير الكاتب إلى أن أحداث الرواية تمتد من ستينيات القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين. وهو زمن متقطع حسب الأحداث وليس متسلسلا كذلك.

كما أن الرواية تتحدث عن الليل والزوال والصباح كزمنين متكررين في أغلب الأحداث (هو الليل، وتصرين أنك من تافيلالت.. يهدك وجع الليل... زوال يوم مشهود..)، مع طغيان الليل نظرا لرمزيته التي تحيل للوحشة والأنس معا، وكذا للأحزان والظلام والسوداوية.

- **المكان.**

- **المكان العام:**

تجري أغلب أحداث الرواية في المدينة التي سمها الراوي: مدينة لام. وذلك دون أن يشير لكثير من المعلومات عنها، إلا أنها في الظاهر مدينة عادية، بسيطة وهادئة، تحتوي على شرائح وفئات وأعراض مختلفة، لكن ما ان يسدل الليل ستاره حتى تتحول لمدينة أخرى لا يعرفها أحد. (ص: 99)، وتتميز هذه المدينة بنشاطها التجاري وفنادقها من الخمسة نجوم ومن النشاط الاستثماري الكبير. كما أن بعض الأحداث الأخرى تجرى في مدينة الرباط، وقد صورها الكاتب من خلال ليلها وحاناتها وفنادقها التي كان يتنقل البطل بينها، هي كما سماها البطل (الرباط مثواي وقبري) ص: 20.

- **المكان الخاص:**

1- الحانة: وهي أول مكان يصادفنا في الرواية، ذاك المكان العامر الضيق كحجرة القنافذ. هذا المكان الذي اتخذه الكاتب كرمز للملاذ الذي يلوذ إليه الذين يعانون والذين يبحثون عن الذات والسعادة الوقتية، هربا من الواقع الذي لا يسر، فتحول بذلك من مكان عام إلى مكان خاص، حيث حقيقة الإنسان، وحيث الكل يمارس الفعل والكلام بدون تمثيل أو تصنع. ولهذا كان لهذا المكان الحيز الأكبر في الرواية.
2- بيت الحاج علي الفارسي: حضور البيت في الرواية قليل، بحيث أن أغلب مواضع ذكره كان في معرض الحديث عن أسرة الحاج علي الفارسي (يجده أمام بيت المنزل وفي غرفة النوم او تحت سريره..) ص:34. بحيث أن هذه الأسرة هي أسرة سلم وعيش بسيط، وبعيدا عن الأحداث رغم حضورها فيها بشكل كبير.

- **الرؤية السردية.**

تختلف الرؤية السردية في الأعمال الروائية حسب درجة حضور الراوي فيها، ومدى علمه بالأحداث وخوالج النفس. وبالعودة لرواية حرب البسوس فنجد الكاتب اعتمد في أغلب متن الرواية على: الرؤية من الخلف في سرده للأحداث. فالراوي يعرف أكثر مما تعرفه الشخصيات، ويعرف علانيتها وسرها. ومن أمثلة ذلك (كانت أمه تقول في سرها وتتساءل قبل موتها) ص: 34. (وكانت تعرف أنه يعشق ويهوى فتاة أخرى) ص: 42.

غير أن تعدد الرواة في العمل نوع كثيرا من طرق السرد وجعل الرؤية السردية تختلف حسب الراوي وحسب قربه أو بعده من الأحداث. فثلا عندما تتحدث شهرزاد نجد أن الرؤية من الأمام هي الموظفة، فهي لا تعلم عن المبروك إلا ما صرح به لها ص: 57.

المحور الثالث: اللغة وتشكل النص في الرواية.

- **اللغة في النص الروائي:**

اللغة هي أساس الجمال في العمل الإبداعي عامة و العمل الروائي خاصة، إذ ينهض تشكيله على اللغة، التي هي "في ذاتها فن جمعي في التعبير، و تنطوي على عدد معين من العوامل الجمالية الصوتية، و الإيقاعية، و الرمزية و الصرفية التي لا تشاركها بها تماما أية لغة أخرى" ،[6] فهي في القديم مجرد أدوات، أو وسيلة يعبر المبدع من خلالها عن أفكاره وأغراضه، أما الآن فلديها مكانة أساسية في العمل الإبداعي، ذلك أن الأدب لا ينتج إلا بها، كما أنها العمود الفقري لبنية الرواية حيث لا يمكن لأي عمل أدبي أن يكون إلا بوجود اللغة ونشاطها. كما نجد أن "أمر الكتابة قائم على العمل البارع باللغة، والنسج بألفاظها في دائرة نظامها "[7] وهذا النسج الرفيع لا نجده إلا في مقدور الفنانين المتألقين والكتاب البارعين. إن اللغة الأدبية لا يمكن تحليلها إلا من خلال تمظهراتها المتعددة.

لقد اعتمد الكاتب بشير القمري نظاما لغويا مركبا، ذو سمات مميزة، جلت من رواية حرب البسوس تحفة احتفالية باللغة أو باللغات التي تم استعمالها بلا تراتبية، بحيث أن اللغة الدارجة تقوم بنفس الدور الذي تقوم به اللغة العربية الفصحى، وكذلك بالنسبة للفرنسية ولباقي اللغات التي تم توظيفها في النص. مما جعل الرواية تضج بالحياة وبالواقعية أكثرن بعيدا عن اللغة الخشبية النمطية الموحدة. وهذا في اطار مستويات متعددة للمنطوق للغوي. ويمكننا أن نقف على أهم مميزات وخصائص اللغة في هذا العمل الإبداعي من خلال:

- **حوارية اللغة في رواية حرب البسوس:**

يعتبر باختين الحوارية في العمل الأدبي أمر مركزيا في الرواية المعاصرة، باعتبارها الأداة التي من خلالها يتم التقاط أيديولوجيات انطلاقا من لغة متلفظيها، وبالتالي جعل اللغة مدخلا لدراسة متغيرات الواقع الاجتماعي، وذلك عن طريق ربط الدليل بالأيديولوجيا. أي أن اللغة أو الحوار لابد أن يكون مناسبا للشخص الذي يتلفظ به اجتماعيا أيديولوجيا وثقافيا كذلك، ودالا زمانيا ومكانيا كذلك[8].

وقد استطاع الكاتب في روايته التي هي موضوع دراستنا، أن يمنح للغة في عملا متعددا، بحيث أنه من خلال الخطاب نستشف ملامح الشخصية ومستواها الثقافي وخلفيتها الأيديولوجية وطبائعها الشخصية، وبالتالي كان الحوار مرآة للشخوص ووسيلة للتعرف عليها داخليا من خلال منطوق حواراتها، ومن أمثلة ذلك:

3- البطل: خلال حوارات البطل المبروك الفارسي تجعلنا المفردات واللغة المستعملة نكتشف أنه شخصية متعلمة ومثقفة وبأن له ميولات يسارية (كتابين أفسدا التوازن في العالم بعد الحرب الباردة " صدام الحضارات" و "نهاية التاريخ"..) – ص:59. وبأنه إنسان يحاول الغوص في الحياة وكنهها بعيدا عن الملذات الخارجية الوقتية (الزواج يا شهرزاد محطة للعبور أو الهبوط والركوب ثانية، بينما الحب سفر في المكان والزمان) -ص: 58-. وبأنه شخص يحب الفن وله ثقافة سينمائية معمقة، فمثلا من حواراته أنه يقول: (مضى زمن "أبي فوق الشجرة"، مضى زمن "الوسادة الخالية"، وانصرمت عهود "لوف ستوري" و "الموت حبا"...) – ص: 18. ولهذا منحه الكاتب نسقا لغويا يتضمن حقلا معجميا يتناسم مع دوره في الرواية ومع صفاته التي أرادها له الكاتب.

---

[6] - دوارد سابير وآخرون: اللغة والخطاب الأدبي (مقالات لغوية في الأدب)، تر: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 1993، ص 33.

[7] - دليلة بن قاسمي: ملامح التداخل اللغوي في النص الروائي الجزائري، رواية: الرعشة لأمين الزاوي. كلية الأدب واللغات. جامعة محمد بوضياف المسيلة. 2015. ص: 65.

[8] - ويدجي رشيد (2019): التعدد اللغوية وحوارية الخطاب في الرواية عند باختين. مجلة تبيّن. العدد: 29/8. لصيف 2019. ص: 86/85/84.

4- فريدة: إن فريدة تطالعنا في هذا العمل الروائي بشخصية ديكتاتورية أنانية، لا مجال لمصطلح القيم في قاموسها، امرأة تهدد الكل وتعتبر نفسها فوق الكل (دبا نخرج أو نوريه..) -ص:44.
5- أم المبروك: تلعب أم مبروك دور الأم الأصيلة مؤمنة من أسرة شريفة، كانت صبورة دائما ولا ترغب في العداوة مع أحد. ولهذا كانت حواراتها مقتضبة دالة على رضا وصبر وإيمان كبير (دابا إيجي شي نهار أو يبان الحق) ص:25. (يمهل ولا يهمل..) ص: 50.

- **التناص:**

يعتبر التناص سمة بارزة جدا في رواية حرب البسوس، فقد وظف الكاتب مجموعة من عمليات التناص في ثنايا كتابه، بل وجعله نصا روائيا له طرق ومخرجات متعددة يمنحها التناص الكثيف فيه. فقد أورد الكاتب مجموعة من العبارات التي تحيل لنصوص خارجية دينية، مثل قصة آدم وحواء مع ابليس وقصة يوسف النبي، إذ يقول (أن تقضم تفاحة نتنة وتغري الشيطان ويغريها، وتخرج إلى العالم لتلقي بنسلها إلى القارعة) ص:13، وكذا في قوله (ولنا في سيرة يوسف ما يضعنا هيت له) ص:16، فهذا يجعل القارئ أثناء قراءته لأسطر الرواية وضمن سياقها يستحضر سياقات هذه القصص وكيف كانت فيهما المرأة/ فريدة في الرواية، سببا للمتاعب والكيد. كما أنه جعلنا نستحضر أعمال قصصية أخرى كما في قوله (أي دون كيشوت لا معنى له) ص: 15، وذلك لجعلنا نرصد التقاطعات بين بطولة طواحن الهواء وفروسية دون كيشوت وبين فروسيته التي تنطرق في السراب باحثا عن بائعة الهوى التي عشقها. كما أنه ذكر مجموعة من الشخصيات كصدام وابن لادن والظواهري وحكومة عبد الرحمان اليوسفي وغيرهم، وذلك لجعل النص ذا حمولة تاريخية ولإقحام السياسات الدولية وواقع العالم العربي والعالم في فترة التسعينيات وبداية الألفية.

وكل هذا جعل من الرواية غنية جدا ومليئة بالإقحامات الذكية لنصوص وومضات خارجية تزيد من المعنى الخاص بالعمل الروائي، وتجعل له أفقا أرحب مما في سطوره.

- **حرب البسوس رواية مهجنة:**

إذا عرفنا أن التهجين هو خاصية أسلوبية تميز اللغة في بعض الأعمال الروائية المعاصرة، إذ إنه ينقلها من خطاب منولوجي أحادي إلى خطاب روائي حواري بوليفوني متعدد. فالرواية المهجنة هي رواية متعددة الأصوات والأبنية واللغات والأساليب والمواقف الأيديولوجية. وبالتالي يكون بناؤها مركبا ومتعددا بامتياز. تكثر فيه الملفوظات الحوارية الصريحة والخفية التي تعبر عن أنماط متعددة من الوعي. فرواية بشير القمري تتضمن مجموعة من اللغات المتعددة: وعلى رأسها اللغة العربية الفصحى والدارجة، فتوظيف إحدى هاتين اللغتين يرجع للسياق وللقائل، في اطار تعدد الأصوات، فمثلا نص كلام فاروق وخيرة كان بالدارجة، وذلك لكونهما يمثلان الطبقة غير المتعلمة في النص، وبالتالي جاء كلامهما دارجا وبدون عمق، وإما بسيطا كبساطتهما وكفهمهما البسيط للحياة، فنجد مثلا فاروق يقول (أنا ماعندي مانكول ما عندي مانعاود، معرفت لا منين جيت ولا منين غادي... أنا مدرت والو. ريان. ناذا ذي ناذا..) ص:79. كما وظف ألفاظ انجليزية واسبانية وبرتغالية وغيرها، فمثلا نجده يقول (ديس مان ايز إيليفنت، سو بون اوم ايتا نيلفان، استي امبري ايس إليفانتي...) ص: 11.

- **السخرية:**

لقد وضف الكاتب السخرية في روايته، وذلك من خلال سخريته من الأقدار ومن واقع سوداوي قاتم، فالمبروك الذي هو رجل مثقف ومتعلم ومناضل تم تهميشه وتسميمه وقتله ببطء، في حين أن فريدة التي لا تفهم من الحياة سوى الغدر والمكائد فقد (انخرطت في حزب مشهود له بالخواء وفقر الدم الأيديولوجي، وتمكنت في ظرف وجيز من التسلق إلى أن أصبحت العضو السياسي للحزب المذكور، مكلفة بقضايا المرأة والشباب والبيئة والمقاولات الصغرى، وكانت على وشك أن تنتخب في البرلمان لولا عناية الله ولطفه) ص: 30. فهي ليست سخرية من فريدة فقط، وإنما من الواقع السياسي والاجتماعي للمغرب في تلك الفترة، حيث التضييق على المناضلين الحقيقيين وبالمقابل صنع كراكز أحزاب بأسماء براقة، ولكن في الواقع لا أفكار ولا رؤية وإنما فقر دم أيديولوجي وفكري.

إلى غير ذلك من المقومات التي يمكن أن نرصدها على مستوى اللغة وتوظيفاتها في هذا العمل الأدبي الرصين.

- **تشكل النص الروائي:**

وضع الكاتب نصه الروائي في قالب بعيد ومختلف عن القوالب التقليدية "الفصول، الأبواب.."، إذ جعل من شكل الموشح الأندلسي التراثي شكلا لعمله الروائي المميز هذا. إذ نجد أنه في الأول عنوان البداية بالاستهلال أو كما يسمى أيضا "القفل الأول". لكنه قام بتحويل شكل الموشح التراثي وذلك عندما أعاد ترتيب عناصره المشكلة لبنائه الفني، كما تجاوز مفاهيم تلك العناصر، وقد نتج عن هذا التجاوز تحويل عناصر الموشح إلى نصوص تصديرية تصدرت الفصول الروائية.[9] كما أن الكاتب أخر "القفل عن " الخرجة" عكس نمط الموشح.

ويعود تقدم القفل عن الخرجة في رواية "حرب البسوس" إلى رفض الكاتب إنهاء نصه، وذلك نظرا لما يوفره القفل بسبب خاصية التكرار التي يتوفر عليها من إمكانية للإيحاء بتجدد النص، خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار أن الخرجة قد تنبئ بختامه. صور الكاتب قتامة الواقع السياسي المغربي في ضوء تاريخ العرب المخزي، عرب كانوا يقتلون بعضهم البعض لأتفه الأسباب، ولعله أراد من خلال توظيف شكل الموشح الأندلسي في روايته؛ تبيان وجه آخر لتاريخ العرب المشرق في بلاد الأندلس[10].

- **خاتمة:**

رواية حرب البسوس من الأعمال الروائية المغربية التي استطاعت أن تبني لها قالبا لغويا مستقلا ومتحررا من نمط الوحدة اللغوية والاستقرار اللفظي. قالب مزج بين اللغة العربية الفصحى والدارجة وكذا اللغات الأخرى بدون تراتبية لغوية، إذ إن المعيار الوحيد هو الشخص والسياق. مما يجعلنا نرى الشخوص تتحدث بحرية أكبر وبلغة ومفردات تناسبها، بعيدا عن وصاية الراوي أو الكاتب، وبعيدا حتى عن نمطية استحضار القارئ وجعل قاعدته أوسع. فالشخوص هي الوحيدة المتحكمة في اللغة التي تريد أن تتحاور بها. كما أن توظيف أسلوب الموشح وشكله منح للنص الروائي صبغة تراثية وتناص أخر يجعل القارئ يربطه بالمجد الأندلسي وبالتراث المغربي الحي. كأن الكاتب يريد أن يقول في الأخير أن الواقع المؤلم فيه أيضا بعض ملامح الأصالة والاشراق.

المصادر والمراجع

1. رواية حرب البسوس للكاتب المغربي بشير القمري. دار أبي رقراق للطباعة والنشر سنة 2006.:
2. مارتن هايدغر: اللغة أخطر النعم ضمن كتاب اللغة (نصوص مختارة)، إعداد وترجمة محمد سبيلا عبد السالم بنعبد العالي، سلسلة دفاتر فلسفية، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب ط1، 1994، ص16.
3. أحمد إبراهيم: إشكالية الوجود والتقنية عند مارتن هايدغر، منشورات الاختلاف الدار العربية للعلوم، ط1، 2006، ص86.
4. عبد الحميد عقار، الحداثة والنوع التجريبي، عبد الرحيم العلام، سؤال الحداثة في الرواية المغربية (الكتاب عبارة عن مجموع مقالات لعدد من الباحثين)، إفريقيا الشرق، المغرب 1999. ص: 117.
5. شعيب حليفي: هوية العلامات (في العتبات وبناء التأويل)، ط1، دار الثقافة، المغرب، 2005، ص21.
6. سعدية نعيمة: استراتيجية النص المصاحب في الرواية الجزائرية "الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي" للطاهر وطار – أنموذجا، مجلة المخبر، العدد 5، بسكرة، 2009، ص 225.
7. دوارد سابير وآخرون: اللغة والخطاب الأدبي (مقالات لغوية في الأدب)، تر: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 1993، ص 33.
8. دليلة بن قاسمي: ملامح التداخل اللغوي في النص الروائي الجزائري، رواية: الرعشة لأمين الزاوي. كلية الأدب واللغات. جامعة محمد بوضياف المسيلة. 2015. ص: 65.

[9] - صبرينة بوسحابة: التناص التراثي وشعرية المناقلة والتحويل، رواية حرب البسوس لبشير القمري نموذجا. مجلة البحوث والدراسات الإنسانية. العدد: 2017/15. ص: 117.

[10] - صبرينة بوسحابة: المرجع السابق. ص: 120.

9. ويدجي رشيد (2019): التعدد اللغوية وحوارية الخطاب في الرواية عند باختين. مجلة تبيّن. العدد: 29/8. لصيف 2019. ص: 86/85/84.
10. صبرينة بوسحابة: التناص التراثي وشعرية المناقلة والتحويل، رواية حرب البسوس لبشير القمري نموذجا. مجلة البحوث والدراسات الإنسانية. العدد: 2017/15. ص: 117.